



اللغة العربية - الثانية باك آداب وعلوم إنسانية

إحياء النموذج - نموذج شعري 1-1
لي في من مضى مثل (محمود سامي البارودي)
الأستاذ: حسن شدادي

الفهرس

- I- النص
- II- تمهيد
- III- دلالة العنوان
- IV- فرضية النص
- V- قضية النص
- VI- وحدات النص
- VII- المعجم
- VIII- تحليل النص
- 1/ البنية الايقاعية
- 2/ الصور الشعرية
- 3/ الأساليب
- IX- تركيب وتقويم

I- النص

لي في من مضى مثل

وَرَاحَ بِالْجَدَّ مَا يَأْتِي بِهِ الْهَزَلُ
بَعْدَ الْإِبَاءِ؛ وَيَوْمَ الْفَتَى ذُولُ
فِي الْحُبَّ، لِكِنْ قَضَاءُ خَطْهُ الْأَزَلُ
فِي الْذَاهِبِينَ؛ وَلِي فِي مَنْ مَضَى مَثَلُ
وَأَطْلَعَنِي عَلَى أَسْرَارِهَا الْكَلَلُ
وَالْجَرُّ بِالْبَاتِرَاتِ الْبِيْضُ مُشَغِّلُ
خُجُولُهُ غَيْرُ يُمْنَى زَانَهَا الْعَطْلُ
يُمْنَاهَا، وَأَبْثَثَ فِي أَغْطَافِهِ الْطَفْلُ
خُضْرُ جَحَافِلُهُ، فِي خُلُقِهِ مَيْلُ
مَاضِي الْغَرَارِ إِذَا مَا اسْتَفَحَلَ الْوَهْلُ
وَقَتَ الْفَرَابِ، وَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ بَلْ
بِهِمْ، يُظْهُونَ أَحْيَاءً وَقَدْ قُبِلُوا
تَهْفُو بِهَا الرِّيحُ أَخْيَانًا، وَتَعْشِدُ
كُلُّ الْحَدِيدِ، وَلَمْ يَثْأَرْ بِهِ فَلَلُ
تَثْمُو السَّوَامِ بِهَا، وَالنَّبْتُ يَكْتُهُلُ
لَبُوا سِرَاعًا، وَإِنْ أَنْزَلْ بِهِمْ نَزَلُوا
إِلَّا وَلَصَدِيرٌ فِي سَاحَاتِنَا نُزَلُ
كَمَا اشْتَهَيْنَا؛ فَلَا غِشْ، وَلَا دَغْلُ
مَا يَسْتَغْبِرُ بِهِ ذُو الْإِفْكَةِ التِّمْلُ
فَأَكْثَرُ النَّاسِ—إِنْ جَرَبْتُهُمْ—هَمَلُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَخْسُنُ الْعَمَلُ
فِي بَغْضِ حَلَالِهِ يُسْتَخْسِنُ الْعَجَلُ
عِلْمًا لِنَفْسِكَ؛ فَالْأَخْلَاقُ تَنْتَقِلُ

- 1- رَدَ الصَّبَا بَعْدَ شَيْبِ اللَّمَّةِ الْغَرَلُ
- 2- وَعَادَ مَا كَانَ مِنْ صَبَرٍ إِلَى جَزَعٍ
- 3- فَلَوْ قَدِرْتُ عَلَى شَيْءٍ هَمَمْتُ بِهِ
- 4- وَلِلْمَحَبَّةِ قَبْلِي سُنَّةُ سَلَفَتُ
- 5- فَإِنْ تَكُنْ تَازَعْتِي النَّفْسُ بِاطْلَاهَا
- 6- فَقَدْ أَسِيرُ أَمَامُ الْقَوْمِ ضَاحِيَةً
- 7- بِكُلِّ أَشْقَرِ قَدْ زَانَتْ قَوَائِمَهُ
- 8- كَانَهُ خاصَّ نَهَرَ الصُّبْحِ، فَأَنْبَذَتْ
- 9- زُرْقَ حَوَافِرُهُ، سُودَ نَوَاطِرُهُ
- 10- أَنْضَيَ بِهِ الْهَوْلَ مِقْدَاماً، وَيَصْخَبِنِي
- 11- يَمْرُ بِالْهَامِ مَرَّ الْبَرْقِ فِي عَجَلٍ
- 12- تَرَى الرَّجَالَ وَقْرَفَا بَعْدَ فَشَكِّهِ
- 13- كَانَهُ شَعْلَةُ فِي الْكَفِ قَائِمَةً
- 14- يَفْلُ مَا بَقِيَتْ فِي الْكَفِ قَبْضَهُ
- 15- بَلْ رُبُّ سَارِيَةِ هَطْلَاءِ دَارِيَةِ
- 16- يَمْمُثُلُهَا بِرْفَاقٍ إِنْ دَعَرْتُ بِهِمْ
- 17- فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ، أَوْ بَغْضُ ثَانِيَةٍ
- 18- فَكَانَ يَوْمًا قَضَيْنَا فِيهِ لَذَّتِنَا
- 19- هَذَا هُرَّ الْعَيْشُ، لَا لَغْرُ الْحَدِيثِ، وَلَا
- 20- فَاتَّبَعَ هَوَالَّ، وَدَعَ مَا يُسْتَرَابُ بِهِ
- 21- وَاغْرِفَ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ
- 22- فَالَّرِيْثُ يُحَمَّدُ فِي بَغْضِ الْأَمْورِ، كَمَا
- 23- هَذَا هُرَّ الْأَدْبُ الْمَأْثُورُ، فَارْضُ بِهِ

ديوان محمود سامي البارودي. شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم.
دار الجيل بيروت ط.1. سنة 1995. ص: 430 وما بعدها (بصرف).

||- تمهيد ||

فقد الشعر العربي، في عصر الانحطاط، كثيراً من عناصر قوته وحيويته، لاعتماده على التقليد والاهتمام بالشكل، والاعتناء باللفظ على حساب المعنى، واقتصراته على بعض الأغراض التي تأتي مع المناسبات من مدح وتهنئة ورثاء وهجاء...، لكن في عصر النهضة أصبحت غاية شعراء البعث انتشار الشعر من مستنقع الرداءة الذي غاص فيه، فبدأ ينتعش، واستعاد شيئاً من قوته التعبيرية وأخذ يرتبط بالحياة من جديد. وحمل مجموعة من الشعراء لواء هذه الحركة، نذكر منهم أحمد شوقي وحافظ إبراهيم وجميل صدقى الزهاوى ومعرف الروصافى، والجوهري من المشارقة. ومن المغاربة نجد علال الفاسى ومحمد المختار السوسي ومحمد الحلوي ومحمد بن إبراهيم، ويعد صاحب النص من الرواد المصريين لهذه الحركة، لدرجة اعتبار بعض النقاد له المؤسس الحقيقي لها، ومن الذين ساهموا في إعادة الاعتبار للشعر العربي القديم، من خلال مجموعة من القصائد التي تمثل فيها نهج القدماء. فإلى أي حد تمثل قصيده " لي فيمن مضى مثل " إحياء النموذج شكلاً ومضموناً؟

||- دلالة العنوان ||

جاء العنوان "لي فيمن مضى مثل" جملة اسمية مكونة من "لي" شبه جملة وهو متعلق بخبر محنوف لمبدأ مؤخر، و"فيمن مضى" شبه جملة متعلقة بالخبر الذي تعلق به الجار والمحرر الأول، و"مثل" مبدأ مؤخر سوغ تأخيره كونه نكرة، أما من الناحية الدلالية فيعبر العنوان - وهو عنوان من وضع لجنة التأليف - صراحة على أن الشاعر ينظر إلى القدماء "من مضى" على أنهم القدوة والأسوة والمثال، وقد عبر عن هؤلاء بمن، وهو اسم موصول شائع في جنسه، وإذا علمنا أن صاحب النص شاعر فالاكم أنهما سيتذمرون مثلاً في الشعر.

٤- فرضية النص

اعتماداً على دلالة العنوان وشكل القصيدة الذي يبدو محاكيًّا للقصيدة العمودية و بدايتها واسم الشاعر، واتكاء على بعض المشيرات التصيفية مثل: (الأبيات 4 و 6 و 17) نفترض أن القصيدة تقليدية تدرج ضمن خطاب إحياء النموذج، يعبر فيها الشاعر عن افتخاره بنفسه. فما هو المضمون الكلي للقصيدة، وما وحداتها الدلالية؟ وما الحقول الدلالية المهيمنة؟ وما الأساليب الفنية التي وظفها الشاعر في قصيده؟ وما مدى تمثيل النص للاتجاه الإحيائي شكلاً ومضموناً؟

٥- قضية النص

ارتباطاً بمكون الدلالة في النص، نسجل أنه على عادة الشعراء العرب القدماء استهل الشاعر قصيده بمقيدة وجداً نية ذكر فيها الحالة التي هو عليها بعد تصرم الصبا وأيام الفتولة، من جزع وضجر وأشواق وأحداث.. لينقل الحديث إلى مظاهر الفخر والفروسيّة والشجاعة عند خروجه إلى الصيد بمعية رفقة له على متن فرس عربية أصيلة في وقت الغدأ طلباً للمتعة ودون التفريط في المرءة رابطاً أجواءها بأجواء ساحة الحرب. ليختتم القصيدة بتقديمه للقارئ بإرشادات وحكمًا تعبّر عن رأيه وتقوم على منظومة القيم النبيلة الأصيلة من مثل: الصدق / الواقعية / التأمل.

٦- وحدات النص

- من البيت 1 إلى 4: استهلال الشاعر نصه بمقيدة وجداً نية يشكو فيها ولعه رغم تقدم سنّه.
- من البيت 5 إلى 14: الفخر بالفروسيّة من خلال وصف الفرس والسيف.
- من البيت 15 إلى البيت 18: وصف الصيد وما يتحقق فيه من لذة وعزّة ومرءة.
- من البيت 19 إلى آخر القصيدة: الختم ببعض الحكم المتضمنة لآداب وفضائل العرب الأسلام.

في ضوء ما سبق، يتبيّن أن النص متعدد المفاصيل والأغراض: وهذا ملمح واضح من ملامح إحياء النموذج، وإن كان ينتظمها خيط دلالي واحد هو الفخر بالذات المتعددة البطولات: بطولة في الحب، وبطولة في الحرب، وبطولة في الحياة.

٧- المعجم

قد استعان الشاعر في التعبير عن هذه المعاني بمعجم شعري تتميز ألفاظه بالقوة والجزالة متأثراً في ذلك بالقدماء، كما أن الملاحظة المتمعنة في هذا المعجم تسفر عن تجاور حقولين دلاليين؛ حقل الجد" الفروسيّة والحب والحكم" وحقل الهزل "الصيد والغزل"،

يمثل الحقل الأول الألفاظ التالية: "الجد / الجزع / الباترات / أشقر / مشتعل / مقداماً / ماضي الغرار / الريث ...
يحمد / يستحسن العجل ...

ويمثل الثاني: "الصبا / الغزل / المهلل / المحبة / الحب / الجزء / الصيد..... رغم ما يظهر من تضاد بين الحقولين إلا أن الشاعر جعل العلاقة تقوم بهما على أساس التكامل إشارة منه إلى ضرورة الجمع بين الجد والمهمل لتحقيق التوازن النفسي.

وانطلاقاً من هذا الجدول نستخلص أن النص اعتمد مدونة معجمية جاهزة بتوظيف ما تناول في النص الشعري القديم من مفردات لم وكلمات وعبارات عتيقة لم تعد متداولة.. وهي سمة من سمات الشعر الإحيائي ومن خلفة النص الشعري التراثي أيضاً.

XII- تحليل النص

1-8/ البنية الإيقاعية

وأما على مستوى البنية الإيقاعية فقد نظم الشاعر قصيده، على وزن بحر الطويل، (مستفعلن فأعلن 4×4) وعروضه وضربه مخوبنان (حذف الثاني الساكن). والذي تسجّم تفاعيله وقوته مع غرض النص الأساسي ألا وهو الفخر وبالإضافة إلى الوزن الشعري يتعزّز إيقاع القصيدة بالتزام الشاعر وحدة الروي (اللام) المضموم ووحدة القافية (لهلzel) وقد وردت متراكبة، مطلقة مجردة من الردف والتأسیس وطويلة نسبياً لتتناسب مع الغرض الفخري الذي يستدعي طول النفس. يضاف إلى ذلك التصریع الوارد في مطلع القصيدة حيث تساوى العروض والضرب. هذا من حيث الإيقاع الخارجي، أما فيما يتعلق بالإيقاع الداخلي للنص، فنميز فيه بين التكرار والتوازي، فالأول يظهر في تكرار حروف بعضها أهمها روي القصيدة تكرار اصامت: اللام .. + تكرار الصائب: الضمة .. + تكرار الكلمات: الغزل / المهلل. عمل / العمل .. + تكرار الصيغ الصرفية ... فضلاً عن بعض الموازنات الصوتية التي تتحقق بالتوازي التوازي المتعدد الأطراف صوتياً وصرفياً ودلائياً وتركيبياً كما في البيت التاسع "9" زرق حوافره .. مما يسهم في خلق الانسجام الصوتي ذي الواقع المرير والتأثير المرن على السامع ..

وقد حقق النسق الإيقاعي الداخلي وظيفة مزدوجة؛ الدلالية (تفريير المعنى) والجمالية (تماسك النص وخلق جرس موسيقي)، وقد ظهر جلياً من خلال هذه المرحلة في التحليل وفاء الشاعر البارودي للهيكل الهندسي للقصيدة التقليدية من خلال احترام خاصية نظام الشطرين ووحدة الوزن والقافية والروي والاحتفال بالتوازنات الصوتية.

2-8/ الصور الشعرية

وإذا انتقلنا إلى الناحية الفنية نجد أن الشاعر اعتمد بعض الصور الشعرية، ملتزماً بمكونات البلاغة القديمة، مثل التشبيه في البيت 13: (كانه شعلة في الكف قائمة): تشبيه السيوف أثناء تحريكه بالشعلة من النار تحركها الريح .. والأبيات 8 - يمر بالهـام من البرق بـ11- بـ13.. والاستعارة المكتـية في البيت 3 (لكن قضاء خطـه الأـزل): استعارة صفة الخطـ من الإنسان للأـزل ..

وقد أدت هذه الصور الشعرية كما عند القدماء وظيفة تزيينية، كما أن القصد إثبات المعنى وتأكيدـه في ذهن المـتلـقـي ترسـيـخـاً لـشـعـرـيـةـ تـنـحـوـ منـحـيـ الـوضـوحـ، اـذـنـ لمـ يـخـرـجـ الـبـارـوـدـيـ عنـ تـقـالـيدـ القـصـيـدـةـ العـرـبـيـةـ فيـ اـسـتـنـادـهـ عـلـىـ طـرـيـقـةـ الشـعـرـاءـ الـقـدـمـاءـ،ـ الـتـيـ تـعـتـمـدـ فـيـ صـورـهـاـ عـلـىـ الـوـصـفـ بـشـكـلـ كـبـيرـ.

3-8/ الأساليب

أما الأساليب فيمكن أن نميز فيها بين أسلوبين: إنشائي وخبرـيـ، ونجدـ الشـاعـرـ يـقـلـدـ الشـعـرـاءـ الـقـدـامـيـ فيـ تـغـلـيبـ الأـسـلـوـبـ الـخـبـرـيـ (ردـ،ـ رـاحـ،ـ عـادـ،ـ ولـلـمـحـبـةـ فـقـدـ)ـ باـسـتـثـنـاءـ الـوـحـدةـ الـدـلـالـيـةـ الـأـخـيـرـةـ الـتـيـ حـضـرـتـ فـيـهاـ بـعـضـ الصـيـغـ الإـنـشـائـيـةـ كـالـأـمـرـ (فـاتـبعـ هـوـاـكـ،ـ وـاعـرـفـ،ـ فـارـضـ بـهـ ..ـ)ـ وـهـذـاـ الإـخـبـارـ اـسـتـدـعـيـ الإـكـثـارـ مـنـ الـأـفـعـالـ الـمـاضـيـ لـاسـيـمـاـ فـيـ

المقدمة العاطفية، لأنها تعكس تجربة انقضت وغدت مجرد حلم تهفو إليه نفس الشاعر. بينما طفت الأفعال المضارعة على وحدة الفخر بالفروسيّة لكونها تمثل مرحلة حاضرة ولا تزال قائمة..

وهذه الهيمنة للأسلوب الخبري، المتجسد في تقنيتي السرد والوصف، ينسجم والممضامين المتناولة التي تفترض إحاطة المتلقي بعوالم الشاعر المدهشة. كما أن الحضور البارز للأسلوب الإنساني في نهاية القصيدة من خلال أسلوب الأمر الذي يدل على النصح والإرشاد.

وبخصوص حضور ضمير المتكلم فإن ذلك يتمشى وغرض القصيدة في الفخر، حيث أضفى الشاعر على نفسه صفات الفراادة (الفارس / القائد / الحكيم).

IX- تركيب وتقدير

مما سبق نخلص إلى أن هذا النص يتميز بالخصائص التالية: الحفاظ على البناء التقليدي للقصيدة " مقدمة وجданية + غرض أساسي" ، وإعادة إنتاج نفس الأغراض الشعرية القديمة وتنويعها، ما ترتتب عنه استقلال كل بيت شعري وبالتالي غياب الوحدة الموضوعية، فضلا عن استلهام نفس القيم الثقافية والأخلاقية والفنية التي كانت سائدة في الشعر القديم، واعتماد مدونة معجمية جاهزة، والالتزام بعمود الشعر، محافظا على الشطرين المتناظرين ووحدة الروي والقافية، واللغة الجزلة الفخمة، واستند في التصوير إلى صور شعرية حسية بيانية.

وتأسيسا على ما سبق، وفق الشاعر البارودي في مجاراته الشعراء القدامى، حيث تطرق للأغراض نفسها، وبنفس الطريقة وكأنه شاعر قديم تأخر به الزمان. فهل الشعر الكلاسيكي كله ينحو نفس المنحى؟ وما مظاهر التجديد في هذا التيار عند الشعراء اللاحقين؟